

الكنايات المصرية العامية من منظور تداولية اللغة

عسكر بابازاده أقدم*

تاريخ الوصول: ٩٦/٩/٢٨

حسين تكتبار فيروزجاي**

تاريخ القبول: ٩٧/٢/١٥

يسرا شادمان***

الملخص

إن تداولية اللغة إحدى مجالات الألسنيات وهي تعالج أثر السياق على الدلالة. إنما يقصد بالسياق في هذا المجال اللغوي، الفضاء الخارجي لنظام اللغة والذي ينقسم إلى سياقين غير لغوي ولغوي. أما الكناية، كنوع خاص للغة، فهي تعتبر نوعية موقفية خاصة. وقد يكون دراسة وتحليل سياقها وفقاً لتداولية اللغة وهي التي تعنى بالمجالات اللغوية خارجاً من نظام اللغة، فهي تسعى إلى فهم الطريقة التوظيفية للغة. قامت هذه الدراسة بتحليل ودراسة الكناية المصرية، كلغة عامية بالمنهج التحليلي- الوصفي. أدلت نتائج هذه الدراسة: ١- أن الكناية كونها نوعاً لغوياً تُدرّس في فضاء خارج من النظام اللغوي وبالنظر للموقف المسيطر على مستخدم اللغة وفي إطار الدلالة غير اللغوية. ٢- نظرية لويس والتي تعدّ السياق اللغوي من مواصفات السياق غير اللغوي، رفضت من وجهة نظر هذه الدراسة. ٣- قد تكون أهم المواصفات الفريدة للكناية المصرية، البساطة في اللفظ وتأثرها الحاد من الثقافات الأخرى، وكونها صورية وتقليدياً جمّاً من الانفعالات الاجتماعية. **الكلمات الدلالية:** تداولية اللغة، السياق اللغوي، السياق غير اللغوي، الأدب العامي.

* أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلوم والمعارف القرآنية، جمهورية إيران الإسلامية.

askar.babazadeh@gmail.com

h.taktbar@gmail.com

** أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة قم، جمهورية إيران الإسلامية.

y.shadman@alzahra.ac.ir

*** أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء، جمهورية إيران الإسلامية.

الكاتب المسؤول: عسكر بابازاده أقدم

المقدمة

فى مجال التداولية والتي «تبحث دراسة الدلالة وعلاقتها بموقف القائل» (Leech, 1983: 6) إن لم تتوظف العبارات اللغوية المختلفة فى مواقفها المناسبة، فإنها لا تكون مشاركة فى تكوين العلاقة. وفقاً لهذا العلم، «إننا لا نوظف الكلام فى فراغ بل نوظفه فى سياق يكون قسم منه لغوى أو غير لغوى» (صفوى، ١٣٩٢: ٦٠). إن استدراك نوع من الكلام بواسطة نوع كلامى غير مباشر، قد يكون بناءً على سياق بيئى وخارج نظام اللغة. إذن تعييننا التداولية فى التمييز بين دلالة ذلك النوع اللسانى وفى دلالة قائلها. والكنيات هى النموذج البين لهذا النوع من الأنواع اللسانية. إن الكناية كنوع من الأنواع اللغوية «قد تكون من أكثر الطرق الطبيعية تعبيراً، فهى توجد بوفور فى الكلام العامة والأمثال والحكم المتداولة فى لغتهم» (شفيعى كدكنى، ١٣٦٦: ١٤٨).

فما «أن استيعاب المقصود منها يستلزم معرفة السياق الثقافى، والاجتماعى والتعرف على التقاليد والعادات ومجالات ذلك التعبير اللغوى» (فتوحى، ١٣٨٧: ١٢٣)، فتكون أكثر الكلام تعلقاً بالدلالة غير لغوية أو تحقق من خلاله». فمزيداً على أنها تكون خارج من السياق اللغوى، فقد تحتوى على ميزة الثنائية البعدين فيفهم المقصود الرئيسى لها من خلال السياق الخارجى للغة فحسب، لذلك، تحظى من الاهتمام الكبير فى علم تداولية اللغة الذى يدرس ويحلل الكلام ويبحث علامات توظيف اللغة ودراستها فى عالم خارج من اللغة.

تسعى هذه الدراسة إلى اتخاذها المنهج التحليلى - الوصفى، تحليل الكنيات المصرية من خلال تداولية اللغة فى السياقين اللغوى وغير اللغوى. من هذا المنطلق، بعد الولوج فى تعريف السياقات المختلفة للغة، وبيان الإطار النظرى للدراسة، تناولنا شرح المميزات العامة للكناية من منظور التداولية؛ ثم تطرقنا إلى دراسة ومقارنة الكنيات المصرية فى السياقين اللغوى وغير اللغوى لنقوم بالرد على السؤال التالى: ما هى المميزات الفريدة للكنيات العامية المصرية من منظور تداولية اللغة وما فرقها بالكنيات الفارسية؟

أجريت دراسات فى مجال تداولية اللغة وتحليل السياقين اللغوى وغير اللغوى أهمها: مقالة «بررسى تطبيقى بافت برونزبانى از ديدگاه فرث، هاييمز و لويس»؛ من مرضيه رستميان و كاظم طباطبائى التى نشرت فى سنة ١٣٩٠ش، فى الرقم الرابع من المجلتين

المحكمتين في مجال القرآن الكريم. ومقالة «تداولية الأقوال» من فرانسوا ركاناتي التي تم نشرها في سنة ١٩٨٩، في الرقم الرابع من مجلة «حضور الذهن واللغة» وقد درست هذه المقالة بعض الأقوال العامية للناس في السياقين الدلالي المحقق. كذلك ألفت كتب في هذا المجال نذكر بعض منها: «الدلالة في التعامل: مقدمة على التداولية» من جنى توماس التي طبع عام ١٩٩٥، في لندن ويحتوي تاريخ التداولية والنظريات المتعلقة به. «تداولية اللغة» من جورج يول وهو يتناول المقاصد الكلامية. «علم الدلالات التداولية»، من كوروش صفوى الذي خص قسم منه إلى دراسة تداولية اللغة. كتبت دراسات حول دراسة الكناية وفقاً للبيئة الاجتماعية ومنها مقال «الظنون الأساسية في معايير معرفة الكناية» من مريم جبرى الذي نشر عام ١٣٩٤ش، في رقم ٧٩ من مجلة اللغة والأدب الفارسية.

كذلك مقالة «عوامل تكوين الكناية في الأعمال» من فيروز فاضلى وعلى نصرتى التي طبعت عام ١٣٩٣ش في الرقم الثامن من مجلة فرهنگ نويسى؛ لكن أكبر فرق هذه الدراسة بمقارنتها للدراسات السابقة، وهو لحد الآن لم يكتب بحث حول مقارنة الكنائيات المصرية في السياقين اللغوي وغير اللغوي من منظار تداولية اللغة، والدراسة هذه تسعى للبحث والدراسة حول الكنائيات العامية المصرية من هذا المنظور ومقارنتها بالكنائيات الفارسية أيضاً.

تعريف الكناية

بعد النظر في الآراء التقليدية- إما في الشرق وإما في الغرب- نشاهد اعتقادها أن الكناية لفظ يقصد به ما يلزم معنى آخر- وبجواز العلاقة اللازمة لذلك المعنى- (السكاكي، ١٩٨٧: ٨٧٠) أو «الكناية تعنى اللفظ المستخدم بدل لفظ آخر ليمنع من صراحة البيان» (ابن المعتز، ١٩٤٥: ١١٥) أو «المعنى الذي يراد به القائل قد يختلف تماماً من المعنى الذي نطق به» (Abrams, 1993: 97). هذه التعاريف تدلنا إلى أن التعاريف التي ذكرت حول الكناية لا تختلف اختلافاً شاسعاً من التعاريف المنظرة الحديثة لهذا النوع اللساني. وأن الكناية في الرأي الحديث تتوظف عندما الشخص لا يرى أنه في حاجة إلى إبانة الكلام.

مع ذلك، إن الآراء الجديدة، لا تسمى الكناية وأمثالها كالاستعارة، والمجاز و التشبيه، محسنات بلاغية، بل ترى، إنما يجب توظيف المحسنة عندما ينوى القائل أو الكاتب الخطابة والبيان فحسب أو أن الكلام «يجر إلى خلق نوع من الانزياح والحديثية فإنهم بتعمدهم الأسلوب الغريب في الكتابة والخطابة يقصدون التأثير واستفزاز حس السامع والقارئ» (Cuddon, 1997: 750). والذي يذكر في علم الألسنيات بالبيانات الوضعية وغير الوضعية. إذن الكناية كنوع لسانی منتشر في كلام الناس دائماً يُعرف «محسنة الكناية» وهو يهدف إلى الانزياح.

الدلالة عبارة عن «الدور» في «السياق»

إن الدلالة تعين في السياق وهو «يمنح أشكالنا اللغوية، الدلالة، فهو لا يستثنى من حالتين؛ إما يكون المتعلق بالنظام اللغوي وإما يكون متعلق بالموقف» (Kelly & bock, 1986: 61).

برانيسلاو مالينوفسكى يعتبر سياق الموقف نوعاً من الفراخ في قضية الدلالة ويرى أن اللسان في جوهره يحتوى جزو الثقافة ونظام الحياة وتقاليده المجتمع» (Lewis, 1919: 48). بعده جان روبرت فرث العالم اللساني البريطاني، جاء بنظرية مبناها «يتم تعين المؤلفات اللسانية نظراً لاستعمالاتها في المواقف الاجتماعية المختلفة» (اولمان، لا تا: ٦١) إذ أظهر لا يكون معناً خارجاً من السياق فمن منظور المنهج التوظيفي للمعنى الدلالة الصوتية والمعجمية والنحوية، فالكل يكون في خدمة السياق، ومعاني الألفاظ تتعين في ضوء التوظيف فحسب (Firth, 1950:219- 221).

أساساً لهذا يجب القول، بأن المعنى الأخير للعبارات يتم تعينه بملاحظة الموقف واستعمالاتها من خلال سياق الكلام؛ فالتداولية بملاحظة الظروف المسيطرة على الكلام كالزمان، والمكان، والمخاطب والقائل، وغيرها، تقوم بدراسة قصد المتكلم أو الكاتب وفقاً لاستخدامه اللغة في إطار التوظيف ولأن «المواصفات الفردية للمرسل كقسم حيز من سياق الموقف للكلام» (عزت، ١٩٧١: ٢٣) مع أهدافه ومقاصده، كذلك لها دور في تشكيل النص أو الكلام النافذ، فهي تتناول البحث عن السبب وأثر الخيارات اللسانية للإنسان.

لكنما يتطلب تعيين قصد الأشخاص فى الدلالة اللغوية دراستها فى السياقين اللغوى وغير اللغوى؛ لأن «الدوافع الكلامية تسبب الأشكال المتنوعة اللسانية. لذلك، القيمة الدلالية والرسائية لا تكونان المميزتين الثابتين والذاتيتين للمؤلفات اللسانية؛ بل تكون حصيلة العناصر اللغوية (النصية) وغير اللغوية (الموقفية، الثقافية، و...) التى تكون متفاعلة فيما بينها» (أقاغل زاده، ١٣٨٥: ١٥)، وإذا عبر المتكلم من مقصوده فى أجواء تدل على علاقة الوحدات الهجائية فى خارج اللغة وتطلق معانى الوحدات اللسانية بإعانة الوحدات اللسانية الأخرى، سيطلق على هذه الأجواء، السياق اللغوى؛ وإن قصدت الأجواء التى يعبر فيها القائل، ويتم استيعاب البيانات اللسانية دون ملاحظة العلاقات الجوارية، وبمجرد استيعابها ونقلها بارتباطها مع المواقف الخارجية، فقد يكون الفضاء سياقاً غير لغوياً أو يسمى بالسياق الموقفى (صفوى، ١٣٩٢: ٥٨-٦١).

لهذا «دور التداولية فى بيان قصد الأشخاص، يدل على أن هذا المجال قريب جداً إلى السياق العام للغة، ويحتوى على كل الأنواع اللغوية الفصحى منها وغير الفصحى» (Danet, 1980: 276).

الكناية والدلالة غير اللغوية

الكناية لفظ يعبر بدلاً من لفظ آخر ليمنع من تصريح البيان (ابن المعتز، ١٩٤٥: ١١٥). يدل هذا الكلام على أن «المعنى الذى يقصده القائل يختلف من المعنى الملفوظ به تماماً» (Abrams, 1993: 97) لذلك الكناية «نوع من اللغة المجازية الخاصة ويجب على الشخص التمتع بالمقدرة الكافية فى فهم اللغة، لاستيعاب وفهم أفكار وآراء وأهداف مخاطبه» (C. Bohrn, 2012: 2680) إذ تنهياً هذه المقدرة من خلال معرفة الشخص من جهة الموقف البيئى للمتكلم، فإن استوعب المخاطب ظروف وموقف المتكلم، سيفهم قصد ما نطق به. قد تكون هذه الظروف هى المواقف المتنوعة للمتكلم، والتى تجعل اللغة فى حالة مجازية وتسبب بيان أنواع لغوية كالكناية.

ذكرنا أن تداولية اللغة تدرس اللغة فى دلالتها اللغوية وتشتمل هذه الدلالة نفسها على سياقين لغوى وغير لغوى. نظراً لنظرية الدلالة اللغوية، أصبح بإمكاننا الإشارة إلى مجموعة من المميزات الفريدة للكناية كالتالى:

١. ثنائيتها

للكناية بعدان، بعد يشكل نطاق المبدأ والآخر يشكل نطاق المقصد. نموذجاً نذكر الأمثال التالية: «دِمَاغُهُ نَاشِفَهُ» و«أَخِرُ الْعُنُقُودِ»؛ كل منهما تعنى «لا يفهم» و«دلوع»؛ ذكرت كنطاق مفهومي (مبدأ) لنقصد من خلالهما نطاق مفهومي آخر (المقصد) وفقاً للموقف المسيطر على المتكلم والسامع. نطاقات المبدأ كلها تكون إما حسية، وإما لمسية. إننا لا نستطيع نفوذ شيء في مكان جاف وصلب، لهذا استيعاب مفاهيم كالشعور والعقل وقلة فهم الأشخاص تتطلب أمر وصفى ملموس كعدم دخول شيء جاف مثل الصخرة أو اللبنة. آخر العنقود يدل على أن هذا العنقود لا يكون فيه أي حبة أخرى؛ لهذا يكون آخر ابن العائلة شبيهاً لآخر حبة عنقود العنب. لفظة «ناموسية» في مصر بمعنى «العائق للبعوضة» و«كحلى» بمعنى «الأزرق الداكن». من هذا المنطلق، الإنسان ما إن لا يستطع ملاحظة العلاقات الموجودة بين المصطلحات (البعد الأول) والنظام المفهومي له (البعد الثاني) لا يستطع في الحصول على المعنى العام لها (واينر، ١٩٨٨: ١٠) إذ «يجب على السامع معرفة العلاقة بين ما قيل (النطاق المبدأ) وما لم يقل (النطاق المقصد)». ولا توفر له هذه الإمكانية إلا الاستعارات المفهومية.

٢. كونها صورية

أحياناً يبادر الأشخاص بإظهار تصوير الكناية، بدل توظيفها (Currie, 2012: 151-153) نموذجاً في عبارة «مَعَاكُمْ مَعَاكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ» وهي تكنى «المتغلب»، إذ يتم فهم المفهوم المطلوب بنوع من التصاوير المصطنعة فيستخدم التصوير المرافق للكناية لاستيعاب عدم الاعتقاد بصحة أمر ما أو خطأه؛ بمعنى إن كان الكل معاكم فنحن كذلك معاكم وإن لم يكن الكل معاكم فنحن نكن ضدكم؛ كما يستعمل في الفارسية «حزب باد بودن». في كنايات «بين المطرقة والسندان: لا يقدم ولا يدبر» و«أنصف من الصيني بعد غسله: أصبح في جيبه بيت العنكبوت»، وكذلك يكون الحال في الكناية الأولى صور مفهوم (لا يوجد أي منفذ)، بشكل شخص علق فيما بين المطرقة والسندان، في الكناية الثانية، صور الفقر كوعاء فارغ من الطعام إذ يدل على الجوع.

٣. كونها ذات دلالة

يذكر جوشوا/أوريك الكناية كاستدلال في الأفعال التي تجرى فيما بين الأشخاص، ويرى أنها كاستدلال تحصل في الأفعال المتقابلة بين الشخصين تدل على المفهوم الرئيس الذي يوجد في الذهن (Averbeck, 2015: 88-94). لهذا الأثر الذي يخلفه الفعل غير البياني على المخاطب يسمى الفعل المؤثر؛ كإقناع والمنع و... (آقاگل زاده، ١٣٨٥: ٣٠). لهذا نستطيع أن نقول بإمكان البيان المجازي لأن يكون آلة جيدة لإقناع الطرف المقابل، كنموذج نشير إلى كنايات «ماشى على قشر بيض: يمشى بانتكاء العصا»، «ماشى على قشر بيض: زلق ماء فمه». في النموذج الأول، غشاء البيض يكون لزجاً وناعماً؛ فالمشى عليه يستلزم الاحتياط الجم. فسبب الاحتياط، عدم الثقة بغشاء البيض كمكان موثق للترجل عليه. وفي الكناية الثانية، بمعنى إلى أن نشتهى شيئاً ما لنبادر بتذويقه؛ وسبب تزلج ماء الفم، ذوق الشيء أو تصوره في الذهن.

٤. كونها ملخصة

الكناية نوع من اللغة تنتج المعاني الدلالية الكثيرة بكمية قليلة من الألفاظ. فتختصر الكناية أحياناً بمفردة واحدة فقط؛ نموذجاً كلمات مثل: «استرعب: انغر بنفسه» و«شخبطة: لا يجيد الكتابه الجميله» وهما يعنيان «جعل نفسه عالماً» و«الخط القبيح» فهي تكونت من عبارة واحدة، في حال إنها تحمل المعاني الكثيرة. فالكناية الأولى، تصور لنا شخصاً جالساً بتربيع الرجلين إذ يظهر أنه محترم وتدل على الثقة العالية أيضاً، ثم إنها تؤكد مفاهيم مثل «سريع الرد» و«الغرطسة» وغير ذلك مما يحصل كل من هذه المفاهيم وفقاً للمواقف المختلفة. أما «الشخبطة» في مصر فتطلق للخط الذي لا يظهر فيه ابتداء وانتهاء الجمل فتعنى أحياناً مفاهيم مثل «المبعثر»، أو «غير منظم»، و«المبهدل» وغير ذلك. نظراً لما ذكرنا آنفاً، إن الكناية لا تظهر نفسها في سياق العبارة أو الجملة فحسب؛ بل لو حصل الموقف المناسب فتحدث في الكلمة حتى؛ لذلك كل كناية تستطيع أن تكون ذات أبعاد، حتى وإن كانت ذات بعد معنوي واحد، وللحصول على ذلك المعنى يجب أن نعيد مفاهيم كثيرة في الذهن.

٥. تمتعها بمحور التبديل

استبدال بعض العبارات وفقاً للظروف البيئية والموقفية بكلمات أخرى هي إحدى مواصفات الكناية في التداولية، نموذجاً في كنيات «بعد خراب مالطه: العلاج بعد موت سهراب»؛ «خلاه يرن: اتركه في حاله» وغيرها فهي تداولت في اللغة المصرية العامية هكذا؛ ثم تغيرت في اللغة الشامية بـ«بعد خراب البصرة» و«سيه يرن»؛ وهذا لأن الأشخاص في استعمال لغتهم قد يكونون متأثرين مباشرة بالموقف والظروف المسيطرة على لغتهم إذ يدخلون لا وعيهم عند استعمال اللغة» (Leech, 1983:6). بالمجموع وبالنظر للميزات التي ذكرناها آنفاً، حدة المواصفات غير اللغوية لكل من الكنيات الفارسية والمصرية تكون بالصورة التالية:

دراسة ٥٠٠ كناية فارسية		دراسة ٥٠٠ كناية مصرية		مميزات الدلالة غير لغوية
بالمئة	العدد	بالمئة	العدد	
٥٤٪	٢٧٠ نموذجاً	٨٥٪	٤٢٥ نموذجاً	التجارب البسيطة
٥١٪	٢٥٥ نموذجاً	١٠٠٪	٥٠٠ نموذجاً	مستوى بساطة الألفاظ
٦١٪	٣٠٥ نموذجاً	٧٥٪	٣٧٥ نموذجاً	سهولة الوصول إلى المفهوم
١٠٠٪	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠٪	٥٠٠ نموذجاً	الموقف الحسى
١٠٠٪	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠٪	٥٠٠ نموذجاً	الموقف المتجرد

يقصد بالموقف الحسى فى الجدول الأعلى، التجارب الحسية والملموسة ويقصد بالموقف المتجرد، التجارب الثقافية والاجتماعية... نظراً للاحصائيات التى حصلت، يستخدم المصريون فى استعمالهم الكناية أبسط تجاربهم لبيان القصد. كما أن فى اللغتين، يمكن استيعاب الوصول إلى معانى اللفظ فى موقف حسى - متجرد. حيث أن الكنيات المصرية تكون أكثر فهماً مقارنة بالكنيات الفارسية، وذلك بسبب الألفاظ والتجارب البسيطة لها.

السياق اللغوى

بما أن دراسة المعنى فى السياق اللغوى قد تشبه دراسة المعنى فى السياق اللغوى إلى حد كثير؛ يتم التعبير عن دلالة البيانات اللسانية فى السياق اللغوى وبواسطة الإليات التى جعلها لنا علم الدلالات النظرى فى مجال التداولية؛ هذه الإليات تكون:

١. الإرجاع

فى مجال تداولية اللغة، «يفضل أن نفرض عمليه الإرجاع بمثابة عمل من خلاله يستطيع المتكلم والكاتب بتوظيف الأشكال اللسانية توفير ظروف للسامع أو القارئ ليعرف ظاهرة ما» (يول، ١٣٨٧: ٢٩). وتكون هذه الأشكال اللسانية نفسها الأسماء المعرفة وهى تشمل الأسماء الخاصة كـ «زهراء وزينب» والضمائر والإشارات كـ «ذلك، وهذا، وهم»؛ والمضاف للمعرفة مثل «أخت مريم، كتاب على» أو ضمير يرجع إلى النكرة التى وضح سابقاً. لذلك يقصد من الأشكال اللسانية تلك الأشكال التى نعرف بواسطتها بعض الأمور التى تُكلم حولها أو يتكلم عنها وفقاً للعلاقات المجاورة بين الوحدات الهجائية. لاحظوا الكنائيات التالية:

«أخذ ديله فى سنانه»: مسك ملبسه بقمه؛ ويكنى بالفرار والهروب بسبب الخوف.
«أنظف من الصينى بعد غسيله» ويكنى بالفقر والفاقة وعدم امتلاك أى مال. «جرى ريقه عليه» ويكنى باشتهاء الأكل؛ «خلاه يرن»: يكنى بتركه بحاله. «بيته مفتوح»: باب بيته مفتوح للكل؛ يكنى بالسخاوة. «حط رأسه فى الجراب»: غش أحد. ويكنى بالتحيل والغش مع الناس. «داير على حل شعره»: أن تعطى شخص اللحية والمقراض؛ ويكنى بأنك تجعل اختيارك التام بيده.

٢. الافتراض

وهو يعنى أن المتكلم لا يذكر الجمل المفترضه فى كلامه؛ لأن من المفترض أن المخاطب له علم بهذه المعلومات سابقاً (صفوى، ١٣٩٢: ٦٦)، «وهذا يعنى أن المتكلم له علم مفترض ولا الجمل» (يول، ١٣٨٧: ٤٠) إذ يجب أن نعد «الافتراض» من الإليات التى تعطى الاختيار للمخاطب إلى أن يستوعب ويستخرج الحقائق المخبئة، والتى لا تختلف من رؤية تداولية اللغة من الافتراض الدلالى. والافتراض يعنى أنكم مع العلم بجمله «الف» يجب أن تصلوا إلى معنى جمله «ب». نموذجاً فى جمله «أن مرض سعيد عولج فى اروبا»، دون إشارة المتكلم لرحيل سعيد إلى اروبا، انتبه المخاطب إلى جمله «أن سعيد كان فى اروبا»، فلذلك استطاع الافتراض بواسطته وبسهولة. لكن هل يصدق هذا الأمر على الكنائيات أيضاً؟ «رماه من عينه»: سقط من عين أحد. «شم نفسه»: أخذ نفساً طلقاً:

ويعنى تجاوز الأزمة والخلاص منها. «عدم الجلد والسقط»: فقد كل ما عنده من مال وحلال. «كنتم الدم على القيح»: حفظ احمرار وجهه بالصفعة؛ يكنى بحفظ الحرمة. «لا ينفع طلبه ولا طار»: لا يرجى منه الخير ولا أمل به. «لسانه مالوش تقاله»: لا يبقى كلام فى فمه؛ يكنى بعدم احتفاظه الاسرار. «بينه وبينه ما صنع الحداد»: فى خلاف بين شخصين؛ علاقتهما سيئة جداً. فى الأمثلة السالفة نستطيع افتراض: الشخصية المحترمة لشخص ما فى السابق؛ سوء الوضع فى زمان ما، المعاناة من شىء فى أوان ما، الفقر والحاجة فى الماضى، التصبر، عبثية وجود إنسان ما، إفشاء السر فى الماضى، مشاهدته النزاع بين شخصين.

بعبارة أخرى، لكل كناية نوع من الافتراض حيث لا يحتاج ذكره.

٣. الاستنتاج

للحصول على الاستنتاج فى تداولية اللغة يجب أن يكون لنا مقدمة لنستنتج منها شيئاً ما. نموذجاً إن قيل لنا فى جملتين «لكل معلم تلميذ» و«على معلم» نستنتج أن «علياً تلميذ». لكن هذه الميزة لا تنطلق على الكناية مثل فى «تُرْشُ ما ينزلش الملح: لا يكون مكان لرمى الابرّة حتى» و«زَيّ الشّمس: كالشمس وسط النهار» تدل على شدة الازدحام وتبيين الحقيقة من المؤكد إن الموقف الذى جعل فيه المتكلم هو الأمر الوحيد إلى أن يكون المقدمة لهاتين الكناتيتين. وإن لا يكون مكاناً مزدحماً ولا توجد حقيقة فلا أحد يستخدم كهذه العبارة ولا تأتى الكناية المعنية فى الذهن بتاتاً؛ كذلك الكناية الثانية؛ إذ يجب أن يحدث أمر ما أو يسنح موضوع لنصل بواسطته إلى أن كل شىء واضح كالشمس وسط النهار.

لكنما لا يستنتج من أى العبارات التى ذكرت أنفاً كالصورة التى تأتى فى السياق اللغوى. فمثلاً نستنتج من الكناية الأولى «هذا المكان لا يكون مزدحماً». فإن نشاهد مكاناً مزدحماً، فلا نستنبط ذلك منه.

إضافة على ذلك، حتى وإن قبل الاستنتاج الدلالى فى كنايات ما، كالتى ذكرت فلا نستطيع الاستنباط من الكنايات الأحادية الكلمة مثل ذلك التطبيق أيضاً؛ لأن مثل هذا التحليل يحتاج إلى جملة، ولا كلمة.

٤. التضاد الدلالي

من القضايا التي تذكر في السياق اللغوي، وينتبه إليها في مستوى الجملة وتهدف تعيين الصدق والكذب للبيانات اللغوية هي التضاد الدلالي. نموذجاً في الجملتين «عازب لا يذهب إلى الخطوبة» و«ذهب على إلى الخطبة»، توصل إلينا جملة «على عازب». فمن الواضح هذا التطبيق لا يمكن العمل به في الكنايات. وفي مثل هذه الكنايات نموذجاً «مَأَجَّرَ السُّطُوح: أجز سطوح البيت» و«جَزَّ عَلَيَّ سِنَانُهُ: صم اسنانه» وبالتوالي تعنيان البلاهة والعصبية الكثيرة، وحتى بعد الفهم الأساسي للكناية، لا نستطيع إيجاد التضاد الدلالي في الجملة؛ لأنما يحصل التضاد الدلالي وفقاً للالفاظ، ولا وفقاً لمفهومها الذهني؛ لذلك لا يجب أن تكون الجملة فعل غير مباشر.

٥. الدلالات المترادفة

يقصد بالدلالات المترادفة، استبدال جملة محل جملة أخرى. نموذجاً «محمد عازب» وجملة «لا تكون لمحمد امرأة» وجملة «محمد لم يتزوج إلى الآن» وغيرها مما تدل على العزوبية. ولكن هذه المسألة لا تنطلق في مستوى الكنايات. مثال «خَرَقَ البَابَ بِإِبره» أو «فَحَتِ البِيرَ بِإِبره» التي تعني «قطع الرأس بالقطن» في الفارسية، إذ يكونان مترادفين، ولكن من حيث البناء لا تتغير كجملة «محمد عازب».

نظراً لما ذكرنا آنفاً، غير المؤلفات الأولى (الإرجاع)، باقى المؤلفات المرتبطة بالسياق اللغوي لا تطبق على الكنايات والسبب الرئيس لهذا الأمر، كون الكناية استعارية؛ إضافة على ذلك، أن الكناية حصلت في سياق الثقافة حيث أن حروفها وجملاتها تجرى دائماً بشكل متداول في لغة الأشخاص المختلفين.

السياق غير اللغوي

وفق رأى دل هايمز، يستفاد الأشخاص من اللغة على قرار الموقف الذي يعرفانه؛ لأن ما يحمل الدلالة في حوار ما هي الظروف المسيطرة على كلا العاملين في لغة المتكلم والسامع. ثم «من منظر هايمز، خلافاً لمنظر جامسكى إذا كانت الجمل منقطعة من النص فلا تعد جملاً» (آقاگل زاده، ١٣٨٥: ٤١). نموذجاً إذا قال أحد لكم «يدقون باب البيت»،

القصد الحقيقي له أن «افتح الباب». فى النهائية، إن لم يدق الباب لا يحصل كهذا الموقف لبيان مثل هذه الجملة أصلاً. لذلك برأى هايمز، من له المقدرة التواصلية، يجب أن يعرف مدى تناسب شكل لغوى بسياق اجتماعى خاص (هايمز، ١٩٧٢: ٢٧٧). لتبيين مفهوم سياق الموقف أو السياق غير اللغوى وتشرح دوره فى فهم وإيصال المعنى، يجب فى البداية تعيين مؤلفاته؛ تشتمل هذه المؤلفات فى نظرية هايمز على «المتكلم»، «السامع»، «الموضوع»، «الموقف المكانى أو الزمانى»، «طريقة العلاقة»، «صورة الرسالة»، «الأشخاص الحاضرين والشاهدين للحوار»، «مواد التقييم»، و«المقصود من الحوار» (صفوى، ١٣٩٢: ٨١) وهذه المؤلفات تشكل سياق الفضاء الحوارى. بالواقع إنها تشكل قسماً من النظام الدلالى الذى يتوظف وفقاً للأهداف الخاصة للمستخدمين ولذلك تعد التداولية فرعاً من علم الدلالات المعروف (رنكما، ١٩٩٣: ٢٠-٢٢). أحياناً بعض هذه المؤلفات تحذف، لكن لا تتكون بشكل متداول أو بشكل مرحلى؛ بل تتكون بصورة متزامنة فى مبادرة خلق الدلالات تماماً. نموذجاً كناية «خَلِيهَا حَلَقَهُ فِي وَدُنْكَ: علق هذا الكلام فى اذانك»، تكنى حفظ مسألة مهمة فى الذهن وتثبيتها فيه، وتحصل فى الموقف الذى يريد المتكلم إنذار السامع وتحذيره، ويحلل هذا المثل بهذه الطريقة:

- (أ) القائل: هو الأب القلق بشأن خطأ ابنه فى اختياره الصديق
 (ب) السامع: هو الولد رسول الذى اختار أحد زملائه صديقاً حميماً
 (ج) الموضوع: كلام رسول حول اختياره صديقه
 (د) الموقف المكانى والزمانى: بيت رسول
 (هـ) الرموز الكلامية: اللغة العامية المصرية
 (و) صورة الرسالة: تنبه الأب إلى ابنه
 (ز) الحدث: حوار الأب مع ابنه
 (ح) الحضر والمشاهدون للحوار: لا أحد
 (ط) مواد التقييم: أن السامع لا يعرف هل ينتبه ابنه إلى حذره أو لا وهل ينجح هذا الحوار فى التأثير أم لا
 (ي) المقصود من الحوار: تسليم الابن مقابل الأب

حذف «الحضار والمشاهدين»، موقف المتكلم باعتباره الكبير فى الثقافة المصرية وتعلق البيت إلى مسؤل العائلة وهو الأب، يسمح للأب أن يوظف الكناية بطريقة محذرة ومهددة «خليها حلقة فى ودنك».

لذلك حذف، ووجود كل من المؤلفات الأنفة الذكر فى اختيار الكناية من جانب المتكلم يمكن أن يكون مؤثراً جداً. من المؤكد إن قمنا بدراسة سياق الموقف لهذه الكناية فى بلد آخر، سيكون لها ظروف مختلفة تماماً. وبما أن ملزوم الكناية، تطبيقها بالظروف وأحياناً تتخذ شكلاً أحادى الكلمة، نستطيع دراستها فى السياق اللغوى جيداً. بعد دراسة المؤلفات التى تشكل سياق الموقف، نصل إلى مسائل سيكون استيعابها برأى هايمز مرتبط بالسياق غير اللغوى. هذه المسائل هى المؤشرات والبدائل.

١. المؤشرات

تتقسم المؤشرات إلى ثلاثة أقسام، الإنسانية، والمكانية، والزمانية. المؤشرات المكانية كـ«هنا وهناك» أو الجهات الست والزمانية كأمس، واليوم وبكرى، وغيرها وهى تتميز بواسطة الفعل أحياناً. تطرقنا قبل هذه إلى المؤشرات الإنسانية. والآن نتطرق إلى المؤشرات المكانية والزمانية:

رضع الحليب النقى؛ يكنى بأنه شريف. «تجىء على أهون سبب»: بالمزاح أصبح جداً. «من الأول للآخر»: يكنى بحكاية كل ما حدث من الالف إلى إلباء. «مأجر السطوح»: أجر الأسطوح؛ يكنى من الذى فقد عقله وجن. «ما يخرش الميه»: لا تدخل الشعرة فى ثقبه؛ يكنى القيام بالعمل بأدق التفاصيل. «لقمة العيش»: قوت لا يموت؛ يكنى بالأكل القليل الوجيز الذى لا يشبع. «يجعلها آخر الأحران»: البقية بحياتكم. إن المؤشرات المكانية فى الكنايات الأنفة الذكر بإمكانها الإشارة إلى كل مكان.

لكنما ما يجب قوله حول المؤشرات الزمانية أن الزمان والفعل الذى يكون فى العبارة الكناية وإن تعلق بأى زمان فيستعمل للزمان الحال أيضاً. بمعنى أن الأهمية الزمانية المفقودة والكناية المتعلقة بكل زمان. والكنايات التى لا يوجد فيها فعل والزمان فيها مبهما فتكون بالعادة من النوع الاسمية أو الخبر وقد حذف فيها إذ نستطيع فرضه «كان» أو «يكون» نظراً لموقف الشخص.

٢. البدائل

يقصد من الاستبدال الموقف المسيطر على اللغة؛ بمعنى أن كل كناية تستطيع البيان في مواقف مختلفة من اللغة. مثل:

زبدة على فطيرة (تكنى الحصول على الشيء بسهولة)		
المؤلفات	الموقف الأول	الموقف الثاني
المتكلم	الطالب الأول	خطيب العلوم السياسية
السامع	الطالب الثاني	الناس
الموضوع	اختبار التاريخ الاسلامي	الخطابة في مؤتمر ما
الموقف المكاني والزمني	الجامعة، آخر يوم الاختبارات	إحدى كليات القاهرة
الرموز	اللغة المصرية العامية	اللغة المصرية العامية
صورة الرسالة	السؤال حول كيفية الاختبار	السؤال حول كيفية تقديم الخطابة
الحدث	حوار طالبين من فرع واحد	الخطابة أمام جمع من الناس
الحضار والمشاهدين	باقي الزملاء	الناس ومسؤولو الجامعة
آليات التقييم	المتكلم لا يريد إظهار الضعف	المتكلم يسعى أن يكون هادئاً
القصص من الحوار	معرفة رأي المنافسين في الدرس	استخبار الناس

٣. المعارف

وفي هذه الحالة قائل الكناية واثق أن السامع يعرف المقصود بالكناية ولا يحتاج لشرح بمعنى أن موقف الكناية من حوار الجانبين يسبب هذه المعرفة. لذلك الكناية بإمكانها خلق بيانات معروفة:

«لِه واشرب ميثه»: يكنى بخسران الشيء قيمته. «على إيديه نقش الحنة»: يكنى بأنه لا يتعب نفسه ولا يعمل أى شى وأنه كسول. «قد حق الكبريت»: بمقياس علبة الكبريت. ويكنى بضيق المكان. «القلوب عند بعضها»: ويكنى بأن القلوب تذكر بعضها فى نفس الوقت. «لا حياة لمن تنادى»: لا من أمل فى انتباهه. «سحب السجادة من تحت رجليه»: أن تخون أحداً وتطعنه من خلفه.

فى كل الكنايات التى ذكرت سابقاً يكفى أن القائل والسامع يكونان فى الموقف اللازم. فى الكناية الأولى، قال شخص لصديقه: فلان واعدنى بالتوظيف؛ والسامع فى الرد يقول: «لِه واشرب ميثه»؛ بمعنى أنه ليس بحاجة ليذكره بسبب معرفته المسبقة له، فلا يتحقق

هذا الطلب من جانبه. وفي الكناية التالية، تتضح شدة كسولة الشخص دون الإضاحه والشرح الأكثر وبمجرد ذكر الكناية. أو افترضوا شخصاً يقول لشخص آخر: «لماذا لا تذهب مريم لبيت زهراء؟» والمخاطب بدل الشرح الطويل، يكتفى بقول هذه الكناية «بينه وبينه ما صنع الحداد».

نتيجة البحث

تتمتع الكناية بسبب تعلقها الزماني والمكاني من التسايرات الدلالية الخاصة التي تدرس في السياق غير اللغوي في انشعاب تداولية اللغة.

بما أن الدور والقصد من الكلام الملمح يميز في السياق ويترافق هذا السياق مع الصورى والتلخيص والاستدلالي والكناية كنوع لسانى يتولد من عوامل مثل المجتمع والموقف الجغرافى والثقافى والسياسى وغيرها، فيتكون في فضاء خارج من النظام اللغوى الإنسانى والموقف المسيطر على مستخدمى اللغة، يكون صانعه؛ فيجب أن نسميه الدلالة غير لغوية. ويكون للفضاء الخارجى لنظام اللغة (الدلالة غير لغوية) سياقين لغوى وغير لغوى ونظراً للتحليل التي أجريت على خمسمائة كناية مصرية وفارسية؛ الكناية بسبب تعلقها الزماني والمكاني تتمتع من الانعطاف الدلالي الخاص لها. من هذا المنطلق يذكر هذا المصطلح بالسياق غير اللغوى.

هذه الدراسة تشتمل وتطبق على كل الكنايات وفي كل الألسنة؛ لأن الكنايات في أى مكان العالم، تشكل وفقاً للمواقف الحاكمة على اللسان وتدرس في السياق غير اللغوى.

في مجال دراسة «الكناية»، ومن وجهة نظر هذه الدراسة، تُرْفَضُ نظرية لويس التي تعد السياق اللغوى من مميزات السياق غير اللغوى؛ لأنه يستخدم مؤلفه باسم «المباحث السابقة» والتي تتعلق بالسياق غير اللغوى أساساً للدراسات التي درست الكناية لا تتشكل في هذا السياق؛ لأن الأشكال اللسانية في مجال «الأبحاث الماضية» تكون عبارات كـ «وفقاً لما قيل ..»، «كما أشير...» وغيرها فلا يستعمل مثل هذه العبارات في الكناية.

بسبب مميّزة التأنيث والتذكير في اللغة العربية واللهجات المختلفة لها، تتمتع هذه اللغة من المميّزات الإنسانية دائماً وفي كل الظروف؛ لأن البناء اللغوى والنحوى لها يسمح اتخاذ ضمير لكل شىء، لكن هذه المميّزة لا تتمتع بها اللغة الفارسية.

إن الاستعارات المفهومية تستخدم لفهم وتحليل الكنايات الفارسية والمصرية ووفقاً للمجالين المبدأ والمقصد، فيحصل فهم واستيعاب أفضل للكنايات. السياق الموقفى فى الكنايات المصرية سبب إزالة الموقف الزمانى إذ اختصت الكناية بكل الأزمنة ولا يحظى ظاهر الأفعال من الجزمية والتعيين. فالمؤشر المكانى يكون هكذا أيضاً.

من منطلق تداولية اللغة، بساطة اللفظ والتأثر الحاد من الثقافات الأخرى والصورية الكناية والتقليد من الأفعال والخلق الاجتماعية تكون من المميزات الفريدة الأخرى للكنايات المصرية.

المصادر والمراجع

- ابن المعتز، عبدالله. ١٩٤٥م، **البديع**، تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجي، مصر: دار الكتب العربية. انورى، حسن. ١٣٩٠ش، **فرهنگ كنايات سخن**، الطبعة الثالثة، تهران: منشورات سخن. آفاگل زاده، فردوس. ١٣٨٥ش، **تحليل گفتمان انتقادی**، تهران: انتشارات علمی فرهنگي. تيمور باشا، أحمد. ٢٠١٢م، **الكنايات العامية**، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. ١٩٨٧م، **مفتاح العلوم**، تحقيق نعيم زرزور، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية. شفيعى كدكنى، محمدرضا. ١٣٦٦ش، **صور خيال در شعر فارسي**، الطبعة الثالثة، تهران: منشورات آگاه. صفوى، كورش. ١٣٩٢ش، **معنى شناسى كاربردى**، الطبعة الثانية، تهران: منشورات همشهري. عزيز، اشرف. لا تا، **الكنايات العامية المصرية**، مصر: دار الكتب العربية. لويس، م. ١٩١٩م، **اللغة فى المجتمع**، ترجمة تمام حسان، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. يول، جرج. ١٣٨٧ش، **كاربردشناسى زبان**، ترجمة محمد عموزاده ومنوچهر توانگر، الطبعة الثانية، تهران: منشورات سمت.

الكتب الإنجليزية

- Abrams M. H (1993). *A Glossary of literary Terms*. New york: Holt, Richard and winston, Inc.
- Averbeck, Joshua M (2015). «Irony in interpersonal conflict scenarios: Differences in ironic argument endorsement and suppression across topics». *Journal of Argumentation in Context*, 87-110.
- Cuddon J.A.(1997).*A Dictionary of Literary Terms*. Penguin Books.
- Currie, G (2012). *The Irony in Pictures*. Hallward Library, University of Nottingham, 149-167.
- Danet, B (1980). *Language in the Legal Process*. *Law and Society Review*, 14(3), 445–564.
- Firth J. R(1950). *Papers in linguistics*. Oxford University Press.
- Isabel C. Bohrn Ulrike Altmann & Arthur M. Jacobs (2012). «Looking at the brains behind figurative language-A quantitative meta-analysis of neuroimaging studies on metaphor, idiom, and irony processing». *An International Journal in Behavioural and Cognitive Neuroscience*. 2669- 2683.
- Kelly, Michael h & J (1986). Kathryn bock. «Prototypicality in a Linguistic Context: Effects on Sentence Structure», *Journal of memory and language*.
- Leech, Geoffrey N (1983). *Principles of Pragmatics*. pearson education limited, United States.

- Lewis, M. M, (1919). Language in the community. Translated by: Tammam Hassan, Cairo: dar ehyaa al-kotob al-mesriyath.
- Roberts Richard M & Roger J. Kreuz (1994). «Why do people use figurative language». Research Article: psychological science, 159-163.
- Winner, Ellen (1988).The Point of Words: Children's Understanding of Metaphor and Irony, Harvard University Press.

المقالات

- فتوحى رود معجنى، محمود. ١٣٨٧ش، «ساخت شكنى بلاغى: نقش صناعت بلاغى در شكست و
واسازى متن»، نقد ادبى، السنة الأولى، الرقم الثالث، صص ١١١-١٣٦.
- عزت، على. ١٩٧١م، «اللغة ونظرية السياق»، الفكر المعاصر، العدد ٧٦.